

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسُرُّنَا وَيَطِيبُ لَنَا أَنْ نُقَدِّمَ لَكُمْ تَفْرِيعَ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ بِعَنْوَانٍ:

فَضْلٌ رَمَضَانُ

أَلْقَاهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَذْخَلِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

يَوْمَ الْخَمِيسِ 01 رَمَضَانَ عَامَ 1439 هـ

بِمَسْجِدِ بَدْرِي الْعُتَيْبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ؛ إِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ جَمِيعاً مِنْ
نِعْمَةٍ إِذْ رَأَيْتُمْ هَذَا الشَّهْرَ الْكَرِيمَ شَهْرَ رَمَضَانَ الْمِعْظَمِ، الَّذِي عَظَّمَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَكَرَّمَهُ
وَشَرَّفَهُ سُبْحَانَهُ بِإِنزَالِ هَذَا الْقُرْآنِ فِيهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى

لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ الآية 185 البقرة، فَتَوَّاهُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ وَأَبَانَ مَكَانَتَهُ وَقَدَّرَهُ حَيْثُ

اِخْتَصَّهُ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِيهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ

الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ الآية 185 البقرة.

هَذَا الشَّهْرَ الْعَظِيمَ شَهْرٌ يَتَكَرَّمُ اللَّهُ فِيهِ عَلَى عِبَادِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ سُبْحَانَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، لَكِنَّهُ
فِي هَذَا الشَّهْرِ يَتَكَرَّمُ عَلَى عِبَادِهِ بِأُمُورٍ اخْتَصَّ بِهَا هَذَا الشَّهْرَ، وَذَلِكَ تَنْوِيهاً بِفَضْلِهِ وَإِظْهَاراً
لِقَدْرِهِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ

النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ)¹. وَإِنَّمَا تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ لِكَثْرَةِ الْخَيْرِ فِيهِ، وَلِتَنَافُسِ

الْعِبَادِ فِي الْخَيْرَاتِ فِيهِ، فَتَجِدُهُمْ يَتَسَابِقُونَ إِلَى الطَّاعَاتِ بِأَنْوَاعِهَا، فَتَجِدُ صَاحِبَ الْخَيْرِ يَزْدَادُ
خَيْراً وَالْمُقِرَّطَ يَزْدَادُ حِرْصاً وَيُقْبَلُ عَلَى الطَّاعَاتِ. وَحَتَّى الْعَصَاةُ تَجِدُهُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ يُقْبَلُونَ
عَلَى الْخَيْرِ.

¹ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، التخریج: أخرجه البخاري (3277)، ومسلم (1079) واللفظ له.

فَكَثُرَ الْإِقْبَالُ عَلَى الْخَيْرِ لَيْسَتْ هِيَ فِي شَهْرٍ كَمَا هِيَ فِي هَذَا الشَّهْرِ، وَلِذَلِكَ فُتِّحَتْ
أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَتَجِدُ الْمَسَاجِدَ تَعُصُّ بِالْمُصَلِّينَ، وَالْقُرْآنُ بَيْنَ أَيْدِي التَّالِينَ، وَتَجِدُ الْمُتَسَابِقِينَ إِلَى
الْإِطْعَامِ لِلْمُحْتَاجِينَ وَالْمُتَفَقِّدِينَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَعَاوِيزِ وَالْمَحَاوِيجِ، تَجِدُ النَّاسَ يَتَسَابِقُونَ فِي جَمِيعِ
أَبْوَابِ الْبِرِّ لِأَنَّ هَذَا الشَّهْرَ لَهُ مَزِيَّتُهُ عَلَى بَقِيَّةِ الشُّهُورِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ
ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-: (**إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزُ بِهِ**)². فَاحْتَصَّ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى- الصِّيَامَ لِنَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ سَلَفِنَا
الصَّالِحِ: "إِنَّ الصِّيَامَ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، يَعْنِي: أَنَّ الْمَرْءَ الْمُفْلِسَ إِذَا
جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَاءَ بِصَلَاةٍ وَصَدَقَةٍ وَأَنْوَاعِ الْبِرِّ فَإِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُؤَدِّي عَنْهُ غُرْمَاءَهُ
مِنْ أَعْمَالِهِ، يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ ...، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُجْرِي فِيهِ
الْقِصَاصَ، لِأَنَّ اللَّهَ احْتَصَّ بِهِ نَفْسَهُ، فَيَتَحَمَّلُ إِنْ بَقِيَ عَنْ عَبْدِهِ لَغُرْمَائِهِ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ النَّاسَ يُقْبَلُونَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَلَى الْخَيْرِ، فَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ جَمِيعُهَا، وَتُصَفَّدُ
أَبْوَابُ النَّارِ لِقَلَّةِ الْمَعَاصِي وَضَعْفِ دَوَاعِيهَا وَأَسْبَابِهَا وَضَعْفِ الشَّهْوَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَيْهَا، هَذَا مِنْ
نَاحِيَةٍ. وَمِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ، الشَّيَاطِينَ قَدْ صُقِدُوا فَلَا يَخْلُصُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ

² من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أخرجه البخاري (1904)، ومسلم (1151) باختلاف يسير.

إِلَيْهِ مِنَ الْعِبَادِ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ، وَلِهَذَا يَقُولُ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ الشَّرُّ وَيَكْثُرُ الْخَيْرُ، فَإِنَّهُ
(يُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ)³.

فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- عَلَى أَنْ بَلَّغَنَا هَذَا الشَّهْرَ وَمَتَّعَنَا
وَأَيَّاكُمْ بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ حَتَّى أَدْرِكُنَاهُ، وَالوَاجِبُ عَلَى مَنْ أَدْرَكَهُ أَنْ يَعْرِفَ لَهُ مَقَامَهُ وَحُرْمَتَهُ
وَأَنْ يَخْرُصَ عَلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنْ أَوْقَاتِهِ نَهَارِهِ وَلَيْلِهِ، فَلَيْلُهُ بِالْقِيَامِ وَبِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَنَهَارُهُ بِالصِّيَامِ
وَبِالدِّكْرِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَوْسِمُ الْمُسَابَقَةِ وَهُوَ مَوْسِمُ الْمِسَارَعَةِ.

وَالوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَلَّغَهُ هَذَا الْمَوْسِمَ وَأَمَثَلَهُ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- وَأَنْ
لَا يَتَسَاهَلَ:

يَا ذَا الَّذِي مَا كَفَاهُ الذَّنْبُ فِي رَجَبٍ
حَلَّى عَصَى رَبِّهِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ
لَقَدْ أَظْلَمَ شَهْرُ الصَّوْمِ بَعْدَهُمَا
فَلَا تُصَيِّرُهُ أَيْضًا شَهْرَ عَصِيَانٍ
وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَسَبَّحَ فِيهِ مُجْتَهِدًا
فَإِنَّهُ شَهْرُ تَسْبِيحِ وَقُرْآنٍ

هَذَا هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ هَذَا الْكِتَابُ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَخْرُصَ عَلَى خَتَمِ الْقُرْآنِ فِيهِ، وَنَخْرُصَ
عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ، وَنَخْرُصَ عَلَى الْإِكْتِنَارِ مِنَ الدِّكْرِ فِيهِ، وَنَخْرُصَ عَلَى الطَّاعَاتِ جَمِيعًا

³ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، التخریج: أخرجه الترمذي (682)، وابن ماجه (1642).

بِأَنْوَاعِهَا فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَدْ مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، وَلِعَظِمِهِ قَدْ شَرَّعَهُ لِلْأُمَّمِ قَبْلَنَا،

قَالَ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَهُلَّكُمْ ثَلَاثُ أَهْوَاءٍ﴾. الآية 138 البقرة.

فَالصِّيَامُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَزِيَّةٌ وَلَهُ شَأْنٌ عِنْدَ اللَّهِ-جَلَّ وَعَلَا- لَمَّا افْتَرَضَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّمِ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا آخِرُ الْأُمَّمِ. وَلَكِنَّا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ نَحْنُ آخِرُ الْأُمَّمِ حَيٍّ وَنَحْنُ أَسْبَقُ الْأُمَّمِ دُخُولًا

الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ هِيَ حَيْرُ الْأُمَّمِ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ﴾ الآية 110 آل عمران، وَبَيَّيْتُهَا أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، يَقُولُ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَلَوَانِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ).

فَهَذِهِ الْأُمَّةُ اخْتَصَّهَا اللَّهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِمَزِيدٍ مِنَ الْخَيْرِ، اخْتَصَّهَا اللَّهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِمَزِيدٍ

مِنَ الْفَضْلِ، اخْتَصَّهَا اللَّهُ-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِمَزِيدٍ مِنَ الْأَجُورِ.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ نِعْمَةَ اللَّهِ-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَأَنْ نَحْمَدَهَا، وَأَنْ نَقُومَ بِشُكْرِهَا وَذَلِكَ

بِشُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِطَاعَتِهِ وَاسْتِخْدَامِ نِعَمِهِ فِي مَرَاضِيهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ-

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَإِلَّا كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ إِلَى وَقْتٍ قَرِيبٍ وَهُوَ

يُؤَمِّلُ بُلُوغَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَبْلُغْهُ، فَلْنَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- أَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلَهُمْ، وَأَنْ يُؤَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعاً لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى حَتَّى نَلْقَاهُ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ.

تَفْرِيعُ: أَبُو أَنَسٍ حَمْرَةَ الْجَزَائِرِيِّ عَفَّرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ-